
نظرة في رسالة

نظرة

في

رسالة

[النفحة الزكيه في الرد على شُبه الفرقة الوهابية]

مؤلفها

أبو اليسار الدمشقي

الميداني

طبعت في مطبعة الترقي عام ١٣٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولي الحميد ، الغفور الودود ، الفعال لما يريد ، الهادي الى دين التوحيد ، الذي الفَّ بين قلوب عباده المؤمنين فاصبحوا بنعمته إخوانا من بعد ما كانوا أعداء ، القائل « لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عليم بذات الصدور » والقائل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » والصلاة والسلام على نبي الرحمة ومصلح الأمة الذي أنزل الله عليه : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » والذي اثنى الله عليه بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » سيدنا محمد النبي الامي الذي لان لقومه بما أودع الله فيه من رحمة ، فدعا الى سبيل ربه بالحكمة ، فاستجاب لدعوته الالوف من البشر ، ولو لا الرحمة والحكمة لما هوت اليه الافئدة ، ولما أشربت حبه القلوب ، ولما دخل الناس في دين الله افواجا « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما

يذكر إلا اولوا الالباب » صلى الله عليه وعلى آله الاطهار . وصحبه الابرار ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد فقد وقفت على رسالة (النفحة الزكية في الرد على شُبَه الفرقة الوهابية) لفاضل من نزلاء دمشق وغرض المؤلف منها الرد على من منع التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والصالحين ، واليت المؤلف وقف عند هذا الحد ، ولم يتجاوزه ، الى ماهو أبعد ، ولكنه وسع الدائرة ، وتناول في ذمه النجديين والشاميين ، وآذى في سبه وشتمه الاحياء والاموات .

في طليعة رسالته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ما أظن أن أحدا ممن رزق حظاً من التحقيق والمعرفة بحال المترجم وجانباً من الانصاف يرضى عنها ، لا سيما اذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

ولا أحب أن اخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمه بالانتساب اليهم من الدمشقيين ، فان السب لا يعمد اليه الا عاجز أو صاحب هوى وانا ليس لي من غرض غير جمع الكلمة ، وتقريب مسافة الخلف بين الفريقين وبيان الحق بلطف « فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما انا عليكم بوكيل »

***

(نبذة من كلام مؤلف الرسالة)

اليك نبذة مما قاله في وصف بعض الدمشقيين (ص ٦) :

« ليس عجبي من ابن عبد الوهاب وتابعيه المخالفين لما اتفقت عليه الائمة رضوان الله عليهم باكثر من الشرذمة القليلة في دمشق المروجين لعقيدتهم الفاسدة ، وبضاعتهم الكاسدة ، الذين أرهقتهم الغواية ، وغشيتهم الجهالة واستزلهم شيطان الهوى والغرور ، حتى هوى بهم إلى أخس دركة من دركات السخافة (وقال) فواخجلتاه كيف يروق للشرذمة المنتسبة اليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة ان تكون تابعة لسكان البوادي وتفتتن بعقائدهم البديهة البطلان ، مع أن فيهم من ينتسب الى العلم ، ويدعي الفهم ؟ (الى ان قال) : كيف افتتنوا بتلك الترهات ، وانخدعوا بالموهات ، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائغة ، والاضاليل الباطلة ، ويبثون في افكار العوام هذ المذهب الذي اطبقت عقلاء الامة على فساده إه

أقول هذه جمل من عباراته العالية ، وآدابه السامية ، في وصف اخوانه الدمشقيين — دع النجديين وما وصفهم به — عرضناها على القارئ الكريم ليعرف بها مبلغه من الادب ، ودرجته من الحرص على جمع الكلمة ، والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الا يوم !

وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق وغيرهم من اموات واحياء ويصرح باسمائهم واسماء

بعض محلاتهم واحيائهم ، وينفر ممن أخذ العلم عنهم ، او سمع شيئاً منهم ، وأنه لما تعرض للميدانيين ردّ عليه بعضهم أحسن رد ، .

فلما اتصل ذلك بسماحه رئيس العلماء استدعاه وسأله : لم عدل في درسه عن إرشاد العامة ووعظهم ، الى الطعن باشخاص ذهبوا إلى رحمة ربهم ، وآخرين في قيد الحياة ؟ فأنكر ذلك أشد الانكار ، وقال انه لم يصرح باسماء فلان وفلان وفلان في الدرس ، وانما كان يتكلم في مسائل عمومية لا تعلق لها بالاشخاص !!

ثم ليت شعري كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته ، ثم يقول بعد : وقد سألت رجلا منهم (يعني الدمشقيين) عن مذهبه يوماً : أشافعي أو حنفي ؟ فأجابني بانه اثري يعني لا ينتسب الى أحد من المجتهدين رضي الله عنهم إه

فإذا كنت تفسر قوله بانه اثري بعدم الانتساب الى أحد من الائمة المجتهدين انفسهم (رحمهم الله تعالى ورضي عنهم) فكيف تنسبه الى رجل من اتباع أحمد بن حنبل وهو محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوى والدليل ؟

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوى أن الوهابيين قاطبة يكفروننا ويزعمون أنا مشركون وها نحن أولاء نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم ، ولا تكاد تدخل مسجدا

من المساجد وقت الصلاة إلا وتجد بعضهم يؤدي الصلاة فيه مؤتما بامامه ؟ فاذا كانوا يرموننا بالشرك كما زعمت فكيف يقتدون بنا ويصلون معنا ؟ وهب انه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جهالهم وغلاتهم فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض ، ألم يقل تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وهل يمكنك أن تبرىء جهالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف ؟ ولم لا تنصح لعوامنا وتنددبهم وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت باولئك ؟ ؟

ثم ما معنى قوله : كيف يروق للشرذمة المنتسبة اليهم الموجودة في دمشق ، المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي ؟ أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه ؟ أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع ؟ أليست العقائد والعبادات من الدين الذي اكمله الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم أليس مبنى الدين على الاتباع المحض ؟ هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ؟ ما معنى التمدن والحضارة في هذا المقام ؟ !

ثم اي تمدن وحضارة تعني ؟ ان كنت تعني مدنيتنا وحضارتنا في هذا الزمان فالجواب أنا لا نرى أثراً لهذه المدنية بيننا لا في اختراع ولا في صناعة ولا زراعة ولا تجارة ، وإن كنت تريد مدنية أسلافنا فلا يحق لنا ان نفتخر بها ونحن قد اضعناها . ولقد تذكرت أن احد الاوروبيين كان يذكر لاحد افاضل المسلمين ما انتهت اليه اوربا

من البسطة في العلم ، والسعة في الملك ، والاختراع في الفن ويباهي بذلك ، فقال له المسلم لنا الفخر لان هذا الرقي قد اخذتموه عن اساتيذكم العرب وهم آباؤنا فاجابه الاوربي : لا حق لكم بهذا الفخر ونحن أحق به منكم لانا اخذنا علوم سلفكم ونشرناها فكنا بعلمهم عاملين ، أما أنتم فقد أضعتموها وكنتم لهم عافين .

وإن كنت ترى المدنية في الافتتان باللباس والتفنن بالطعام والشراب والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك ، فهذا أقبح ماسرى إلى صنف العلماء من الامور الذميمة ، وصدهم عن تخريج الطلاب ، في العلوم والاداب ، وتصنيف الكتب واحياء العلوم .

وأما وشرف العلم ان عند كثير من علمائنا الاغنياء من العلم والمال مايستطيعون أن يخدموا به كثيرا من الطلاب ، فلو كانت هممهم متوجهة لاحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام ، وإذا لازدهرت هاتيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار .

وإنك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدين الذين قضوا شطرا كبيرا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول ، والتدقيق في الفروع والاصول ، يفتشون عن وظيفة علمية تسند اليهم لينفعوا بعلمهم ويستزيدوا منه ويتمرنوا على العمل ، وليستعينوا بالمرتب على أمر معيشتهم فلا يجدون الى ذلك سبيلا ، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة ، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدين عن حاجتهم ،

فيضطرون هناك إلى الاشتغال بما يقيهم ذل السؤآل والامر لله

وقد كان الواجب يتقاضى من يزعم الغيرة على الدين وأهله، ويدعي انه من حماته ودعاته، ان يساعدهم بكل ما يمكن رحمة بهم، وبما آت الطلاب التي كان يمكن أن تحصل عندهم وتخرج على ايديهم.

من ذا الذي يخدم الدين للدين، والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة لا يتقاضى عليها اجرا أوليس له في مقابلها شيء؟ ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول اليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها كيلا يأكلوا اجورها من دون عمل وهي لم توقف او تخصص إلا لمن عمل

(حالنا وحال النجديين)

إذا اردنا أن نقابل بيننا معشر أهل التمدن والحضارة! وبين سكان البوادي النجديين الذين نزعم، — ونوازن بين سخائنا على نشر العلم وسخائهم وغيرتنا على الدين وغيرتهم، وكانت حالنا ما قدمنا — ورأينا كثيرا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم، وجعلوها وقفاً لله تعالى، ووزعوا الالوف منها على المسلمين في عامة الاقطار، سواء في ذلك اهل البوادي وسكان المدن والامصار، ولا يزالون دائبين على طبع الكتب النفيسة، حريصين على نشرها مجانا يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفة ولم تكن تلك الكتب من تأليف اهل نجد فحسب، بل معها كتب أئمتنا

واجلائنا الدمشقيين وغيرهم كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة ، وهم يطبعونها ويوزعونها على المسلمين لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا، فأي المدنيتين قد عم خيرها ، وظهر اثرها ، وحق ان يفخر بها اهلها ؟ آلمدنية التي افسدت علينا ديننا ومروءتنا ، وسلبتنا جل اوصافنا الحميدة ، واكسبتنا اخلاقا ذميمة كالبخل ، والكذب ، والكبر ، والبذخ ، والرياء ، وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، ام تلك المدنية الفطرية الساذجة التي لم تشبها شائبة الفساد ؟ ؟ بربك انصف ثم احكم .

عود على موضوع الرسالة

قلنا انه جعل موضوع هذه الرسالة جواز دعاء الله تعالى مع التوسل اليه بذات النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والصالحين وقد جعل هذه المسألة ام المسائل ، وموضع الخلاف والحكم بين الفريقين ، والحال ان هذه مسألة مشهورة ، وفيها نزاع بين العلماء معروف ، وهو لم يأت في رسالته بشيء غير ما استدل به بعض العلماء ورده البعض الآخر ، وسنذكر طرفا من ذلك ، وقد ذكر شيئاً وترك اشياء ، ذكر المختلف فيه ، ولم يتعرض لما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيا صريحا ، وكيف يتعرض لذلك ويذكره وهو يخشى ان يعيد عليه الناس لفظ (وهابي) الذي لقبوه به من قبل (ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم نهياً صريحاً وخالفه

الناس فيه) . اليك ماقاله الامام الحجة محي الدين محمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية وغيرها في رسالته التي الفها (في زيارة القبور) قال (رحمه الله تعالى) : ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به وما نهى عنه ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان ابداً فانه عليه السلام نهى عن الصلاة الى القبور وهم يخالفونه ويصلون عندها

ونهى عن اتخاذ المساجد عليها وهم يخالفونه ويبنون عليها مساجد ، ويسمونها مشاهد

ونهى عن ايقاد السرج عليها وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك أوقافا

وأمر بتسويتها وهم يخالفونه ويرفعونها من الارض كالبيت

ونهى عن تجصيصها والبناء عليها وهم يخالفونه ويجصصونها ويعقدون عليها القباب

ونهى عن الكتابة عليها وهم يخالفونه ويتخذون عليها الألواح ، ويكتبون عليها القرآن وغيره

ونهى عن الزيادة عليها غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى التراب الآجر والاحجار والجص

ونهى عن اتخاذها عيدا وهم يخالفونه ويتخذونها عيدا ويجتمعون لها

كاجتماعهم للعيد واكثر

قال (رحمه الله) والحاصل انهم مناقضون لما أمر به لرسول عليه السلام ونهى عنه انتهى

(اقول) وكل هذه البدع القبورية التي ذكرها الامام البركوي رحمه الله واقعة في زماننا ومشاهدة لا تخفى على ذي بصر ، وقد ساق الامام البركوي الاحاديث الواردة في النهى عنها ، والمحذرة من الوقوع فيها اشد التحذير ، ومن اراد استيفاءها فليرجع الى رسالته (١) وصاحب (النفحة) غني عن سرد احاديث النهي في هذا الباب ، فانه يعرفها ويعرف احكامها من كتب مذهبه فهل ينهى العامة عنها ولو بالتذكير ، من غير طعن ولا تكفير ، أو يخشى من ان يقال له (وهابي) — وهو يفر من هذا اللقب ، فرار السليم من الاجرب — فيؤثر السكوت عن بيان الحق ؟

وقال البركوي رحمه الله تعالى بعد أسطر مما تقدم — ونحن ننقل عبارته باختصار ، ونحذف منها ما يمس العواطف والشعور ، من نسبة الشرك او الكفر الى بعض أعمال غلاة القبور (قال) : فانظر الى ما بين ما شرعه النبي عليه السلام من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء ، وما قصدوه من التباين ؟ ولا ريب أن في

(١) هي مطبوعة مع رسائل المؤلف في قسطنطينية سنة ١٣٢٦ ومطبوعة في مصر ضمن مجموعة سنة ١٣٢٩ .

ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره :

(فمنها) تعظيمها الموقع في الافتتان بها

(ومنها) تفضيلها على احب البقاع الى الله تعالى فانهم يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد ، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ؟ وذلك يقتضي عمارة المشاهد ، وخراب المساجد

(ومنها) اعتقاد أن بها يكشف البلاء وينصر على الاعداء ، ويستنزل الغيث من السماء ، إلى غير ذلك من الرجاء

(ومنها) الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد والسرج عليها

(ومنها) النذر لها ولسدنتها

(ومنها) المخالفة لله ورسوله والمناقضة لما شرعه في دينه

(ومنها) إماتة السنن واحياء البدع

(ومنها) ايذاء أصحابها فانهم يتأذون بما يفعل عند قبورهم مما ذكر ويكرهونه غاية الكراهة

(ومنها) أن الذي شرعه النبي عليه السلام عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاتعاظ والاعتبار بحال المزور ، والاحسان اليه بالدعاء له ، والترحم عليه حتى يكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت إه

وقال في موضع آخر باختصار ايضاً : زيارة القبور نوعان زيارة شرعية

وزيارة بدعية (أما الزيارة الشرعية) التي اذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمقصود منها شيئآن احدهما راجع الى الزائر وهو الاعتبار والاتعاظ والثاني راجع الى الميت وهو أن يسلم عليه الزائر ويدعو له .

(ثم قال) وأما الزيارة البدعية فزيارة القبور لاجل الصلاة عندها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود عليها، واخذ ترابها، ودعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر والرزق ، والعافية ، والولد وقضاء الديون، وتفريج الكربات، واغاثة اللهفات، وغير ذلك من الحاجات فليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين ، اذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين إه

[أقول] هذا قليل من كثير مما ذكره الفاضل البركوي في رسالته ، وهو متفق على جلالة قدره ، وغزارة علمه ، وهو الحنفي الصوفي صاحب الطريقة المحمدية التي شرحها الشيخ النابلسي قدس سره وهو الذي الف هذه الرسالة ومات . قبل أن يخلق الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (رحمهم الله تعالى) فهل يقال انه وهابي ؟ واذا قلنا عنه ذلك . فان البركوي يقول : إن هذه منكرات وليس شيء منها مشروعا باتفاق أئمة المسلمين فهل يقال إن أئمة المسلمين المتقدمين منهم والمتاخرين على تباين الاقطار ، وتباعد الاعصار . كانوا كلهم وهابيين؟ واذا قيل ذلك فما ذا يفعل بالاحاديث الصحيحة الصريحة في النهي

عما تقدم من البدع ، وهل يكون لفظ وهابي — والحال ما ذكر — لقب مدح أو ذم ؟

فان قال قائل : سلمنا ان هذه بدع ومنكرات ، وأن ماذكره البركوي رحمه الله قد صرح به الفقهاء على اختلاف المذاهب ، ولكن ذلك لا يقتضي تكفير العوام لأن العامي وان دعا غير الله او استغاث به فانه سليم النية والقصد ، ولو لا اعتقاده أن ذلك داخل تحت أغراض الشارع ومقاصده لما فعله ، على انك اذا سألته عن قصده فانه يفصح لك عن سلامة نيته ، وخلوص طويته ، وانه كان يظن أن ذلك الذي فعله كان طاعة لا معصية ؛ فنقول في الجواب : حق ماقلت فان كثيراً من العوام ملتزمون لاحكام الاسلام ، واذا قيل لهم قال الله قال رسول الله ، هذا حلال ، هذا حرام ، سمعوا ورجعوا ونعوذ بالله أن نكفر مسلماً غير جاحد ولا معاند ، وهو يعتقد أن ما يفعله مندوب اليه ، لا منهي عنه ولكني أقول سائلا : اذا كان هؤلاء مخطئين في عملهم يحتاجون الى ارشاد وتعليم ، وايضاح وتفهيم ، فلم لا نعلمهم ولا نرشدهم ، ولم لا نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر بالرفق واللين ، ولم لا ندعو الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، بل لماذا يكون بعض المنسوبين الى العلم حماة هذه البدع والمنكرات بل دعاتها ، والذابين عن مرتكبيها ، والمنتصرين لهم ، وهم هم المعترضون على من ينهى عنها في المساجد ، والطاعنون فيه ، والمشنعون

عليه ؟ ألم يكن الواجب عليهم أن يشدوا أزرهم ، ويحموا ظهرهم ، ويساهموهم في إنكار هذه المنكرات ، ويشاطروهم في إزالة هذه البدع والضلالات ؟ أليس العلماء ورثة الانبياء ألا يجب عليهم بيان الحق ، أيجوز لهم كتمانه والسكوت عنه ؟ ألم يأتهم أنباء ما يجري حول قبور الانبياء والصالحين ؟ ألم يسمعوا ما كان يقوله بعض العامة في حرب طرابلس الغرب وغيرها — وما عهدهم منها ببعيد — إن الولي الفلاني قد ركب حصانه وسافر لقتالهم ، وقد خذلنا وفشلنا في كل تلك الحروب ، انا لله وانا اليه راجعون .

أرأيت أنه لو كان جيش من المسلمين مؤلفاً من مآت أو الوف مجهزين باحدث انواع السلاح ، وأفتك آلات الحرب ، وكان عدوهم مصبحهم أو ممسيهم وهم مستعدون لمنازلته ، ثم جاءهم غشاش كذوب بلباس أحد الصالحين وهيأته ، وقال لهم ايها المسلمون ارجعوا فقد كفيتم شر عدوكم ، وقد خرج أحد أولياء الله تعالى من قبره لقتالهم وطردهم ، ألا يصدقون ذلك المخبر ؟ ويعدون عدم تصديقه نقيصة ومذمة ؟ ؟ فأي أوهام اكبر من هذه الأوهام وأليس ذلك مناقضا لما أنزل الله به كتبه ، وأرسل به رسله ، لا سيما دين الاسلام ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ؟

ليت شعري أ كنت ترى هذه المنكرات فاشية شائعة بين الناس بهذا المقدار ، لو اتفقت كلمة المؤيدين لها والساكتين عنها من

المنسوبين الى العلم مع العلماء الاحرار ؟ ولم يخافوا في الله لومة لائم ؟

الحق أقول : ان هذه العقائد أو الزوائد قد قبح اثرها ، وعم ضررها ، فمتى تكون لمؤلف هذه الرسالة وأمثاله غيرة يكون من أثرها إزالة هذه البدع واحياء ميت السنن ؟ لم لا نرى لهم مثل هذه الغيرة أو قريباً منها في الدفاع عن أصل الدين والرد على المبشرين ؟ لم لا تظهر غيرتهم عليه بتعليم النشء الجديد العلم النافع ، وبيان أن العقل والنقل رضيعالبان ، واخوان شقيقان ، ؟ لم لا تظهر غيرتهم عليه بتأسيس مدارس تغني النشء عن المدارس الاجنبية وتقيهم خطرها وضررها ، لم لا تكون لهم غيرة عليه بتأليف كتب تنشر محاسن الدين ومزاياه ، لماذا تظهر هذه الغيرة بالتفريق لا بالجمع ، وبالتنفير لا بالتأليف ؟ كيف يروق لهم هذا الرد والتلهي :

وهم يشهدون الطعن في دين أحمد — وما منهم من غاضب او معاتب
وتنظرهم ما بين كاس وطاعم — وتشهدهم ما بين لاه ولاعب
فمن كان منهم غائباً مثل حاضر — ومن كان منهم حاضرا مثل غائب
وليس لهم هم بغير رآسة — وما همهم الا صدور المناصب

آه وواحر قلباه من حال هؤلاء المفرقين النمامين ، ويا حسرة على المسلمين :

حنانيك يارباه ماذا اصابنا

وماذا دهى الاسلام سرعان عاجلا

وانت رعاك الله يانسل يعرب
الست ترى في ذاك مجدك زائلا ؟
سلام على يوم نرى العرب تتقي
به غدر من قد كان للدين خاذلا

[بحث الوسيلة والتوسل]

فان قال قائل انك قد توسعت في الموضوع ، وتبسطت فيه اكثر من المطلوب ، فهلا تذكر شيئاً في بحث الوسيلة . قلت ان الخطب فيها — في جانب ماتقدم — يسير ، والامر سهل ، والمسألة خلافية لا تحتاج الى هذا التهويل الذي اتى به حضرة مؤلف رسالة النفحة الزكية ، والقول بان مانعي التوسل هم الفرقة الوهابية ، ومثبتيه هم اهل السنة السنية ، غير صحيح ، فان البحث فيه معروف من قبل ان يخلق محمد بن عبدالوهاب باكثر من الف سنة واليك ما قاله الفاضل البركوي نقلا عن فضلاء مذهبه ، بل عن الامام ابي حنيفة نفسه (رضي الله عنه) قال : ان شأنه تعالى أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل باحد من خلقه ، وقد انكر أئمة الاسلام ذلك فقال ابو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله تعالى الا به ، قال وأكره أن يقول : اسألك بمعقد العز من عرشك ، واكره أن يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام .

قال ابو الحسن اما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم ، لانه لا حق لغير الله عليه ، وانما الحق لله تعالى على خلقه .

وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول اسألك بفلان او بملائكتك او بانبيائك او نحو ذلك ، لانه لا حق للمخلوق على خالقه . او يقول في دعائه اسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن ابي يوسف جوازه لما روي انه عليه السلام دعا بذلك ولان معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكانه سئل باوصافه

وما قال فيه ابو حنيفة واصحابه اكره كذا ، فهو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو الى الحرام اقرب ، وجانب التحريم عليه اغلب . إه

سبحان الله كم قام جامع (النفحة) وقعد ، وارغى وازبد ، في مسألة التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وغيره من الانبياء الكرام ، وكم شنع على المانعين وكم طعن في دينهم ! فما ذا عسى ان يقول الآن وقد سمع ان الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول لا ينبغي لاحد ان يدعو الله تعالى الا به ؟ ويقول : واكره ان يقول بحق انبيائك ورسلك ؟؟ ثم سمع القاعدة وهي وما قال فيه ابو حنيفة واصحابه اكره كذا ، فهو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو الى الحرام اقرب ، وجانب التحريم عليه اغلب :

ما ذا عسى ان يقول في الامام ابي حنيفة النعمان (رضي الله عنه) وهو الامام القدوة بين الانام ، وقد سمع ان من مذهبه منع التوسل بالانبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وان الدعاء به حرام او اقرب الى الحرام ؟

ليت شعري لو قلده المتمذهبون بالمذهب الحنفي قاطبة في هذا القول فما ذا يقول عن الامام وعنهم يا ترى ، أيقول انهم هم والامام معهم وهابيون ؟

وقال الامام أحمد ابن تيمية في كتابه (قاعده جليلة في التوسل والوسيلة) في بحث سوآل الله تعالى بحرمة الانبياء وجاههم « فقد تبين ان قول القائل اسألك بكذا نوعان ، فان الباء قد تكون للقسم وقد تكون للسبب ؛ فقد تكون قسما به على الله ، وقد تكون سوآلا بسببه ، (فاما الاول) فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق (واما الثاني) وهو السؤال المعظم كالسؤال بحق الانبياء فهذا فيه نزاع ، وقد تقدم عن ابي حنيفة واصحابه انه لا يجوز ذلك (قال) فنقول قول السائل لله تعالى : أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والانبياء والصالحين وغيرهم ، او بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، يقتضي ان هؤلاء لهم عند الله جاه ، وهذا صحيح فان هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة ، يقتضي أن يرفع الله درجاتهم ، ويعظم اقدارهم ويقبل شفاعتهم اذا شفعوا ، مع أنه سبحانه قال : « من ذا الذي يشفع

عنده الا باذنه» ويقتضي ايضاً ان من اتبعهم واقتدى بهم ، فيما سن الاقتداء بهم فيه ، كان سعيدا ، ومن اطاع امرهم الذي بلغوه عن الله كان سعيدا (قال) ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ما يقتضي اجابة دعائه اذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك ، بل جاههم ينفعه اذا اتبعهم واطاعهم فيما أمروا به عن الله ، أو تأسى بهم فيما سنوه للمؤمنين ، وينفعه ايضاً اذا دعوا له او شفعوا فيه ، فاما اذا لم يكن دعاء ولا شفاعة ، ولا منه سبب يقتضي الاجابة لم يكن متشفعا بجاههم ، ولم يكن سؤاله بجاههم نافعا له عند الله ، بل يكون قد سأل بامر اجنبي عنه ليس سبباً لنفعه (قال رحمه الله) ولو قال الرجل لمطاع كبير اسألك بطاعة فلان لك ، وبحبك له على طاعتك . وبجاهه عندك الذي اوجبته طاعته لك قد سأله (لعل الاصل لكان قد سأله) بامر اجنبي لا تعلق له به فكذلك احسان الله الى هؤلاء المقربين ، ومحبته لهم وتعظيمه لاقدارهم مع عبادتهم له وطاعتهم اياه ، ليس في ذلك ما يوجب اجابة دعاء من يسأل بهم وانما يوجب اجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم ، أو سبب منهم لشفاعتهم له ، فاذا انتفى هذا وهذا فلا سبب (قال رحمه الله) نعم لو سأل الله بايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومحبته له ، وطاعته له ، واتباعه له لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي اجابة الدعاء ، بل هذا اعظم الاسباب والوسائل انتهى

(اقول) تبين مما ذكره الامام ابن تيمية والفاضل البركوي

(رحمهما الله تعالى) ان المسألة فيها نزاع ، وأنه مبحوث فيها في البلاد العراقية والشامية من قبل أن تذكر في البلاد النجدية بمآت من السنين .

ولولا أن هذا المبحث وما قبله من المباحث التي نضجت واحترقت لخضنا غماره وناقشنا مؤلف الرسالة في كل مسألة من مسائله وقضاياه ولكنه يكون من قبيل المكرر المملول . غير أني انصح له — إن كان طالب حق ، وأراد أن يدعو الى الله على بصيرة — أن يرجع الى كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ورسالة زيارة القبور للفاضل البركوي ، والدر النضيد للمحقق الشوكاني وغيرها ، ومن سبر تلك الرسائل عرف أن أدلة حضرة صاحب (النفحة) بعضها ليس له سند ولا أصل ، والبعض الآخر لايدل على ماذهب اليه . على أن الاستاذ الشيخ ناصر الدين قد ناقش المؤلف في رسائله الثلاث فوفى الموضوع حقه ، ولسنا في حاجة الى الاعادة والتطويل .

فان قال : ان في هذه الرسائل التي أشرت اليها ما ينفر من قراءتها — وهو نسبة الكفر أو الشرك إلى المسلمين . (فالجواب) أن ذلك لا يمنع طالب الحق من قراءتها مادام الاتفاق بين أهل العلم قائماً على أن ماحذرت منه هذه الرسائل من البدع والمنكرات القبورية التي ذكرناها شيء قد ملئت منه كتب الفقه ، وجاءت الاحاديث الصحيحة ناهية عنه ، محذرة من الوقوع فيه ، متوعدة عليه .

بقيت مسألة التوسل وامرها سهل ، اذ ليس الدعاء فيها الا لله

عز وجل ، فمن قائل اللهم اني اتوسل اليك بايماني بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وطاعتي له ، وحبي اياه ، ومن متوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وجاهه عند الله تعالى

| مجموعة الرسائل |

أنا لا أحب أن اكون رجل عصبية ، وحمية جاهلية ، ولا موقظ فتنة ، ولا مثير خصام ، بين بني الاسلام . بل ارجو ان أكون حكما منصفا ، وداعيا الى التآلف مخلصا ، والتآلف لا يتم إلا اذا اتفقت كلمة العلماء فباتفاقهم تصلح احوال العامة ، وكلمة العلماء لا تتفق الا اذا عملوا بهذه القاعدة : وهي ان ينكروا ما اتفقوا على أنه منكر ، ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه

وما أثرناه من البدع والمنكرات عن الامام البركوي متفق على أنه منكر فيما أحسب لورود الأحاديث الشديدة فيه . فيجب أن ينكر على فاعله كسائر المحظورات ، وما اختلفوا إلا في مسألة التوسل فليتوسل كل بما يعرف ، وليعذر بعضهم بعضا في ذلك كما قدمنا

اذا عرفت ذلك ، عرفت أن ما في المجموعة التي طبعها التاجر عيسى ابن رميح هو عين ما في الكتب ، ليس في ذلك شيء جديد ، وأما لفظ الشرك او الكفر فالمقصود منه الزجر عن البدع والمحرمات . على أن هذه الرسائل تصرح انه يجب على المؤمن أن يتوب الى الله تعالى من البدع المكفرات ويرجع عنها بعد بيان الحق له . فان أصر

وعاند من بعد ماتبين له الحق ، فهنالك يكون له حكم المرتد والعياذ بالله تعالى .

أما السعي في مصادرتها من ايدي الناس وإحراقها فلا أرى له وجها وجيها بل انه يعد جناية كبيرة على العلم وأهله .لما فيها من الأدلة الجليلة . والبراهين القطعية ، ولم لم يسع في مصادرة غيرها من الكتب التي تصادم نصوص الدين وتناقضها ؟

وتعجبني المحاورة التي دارت بين عالم سلفي من أنصار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وآخر صوفي من انصار الشيخ الاكبر قدس سره : قال العالم السلفي : اني تكلمت يوما مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب الفصوص والفتوحات من الكلمات المصرحة بالحلول والاتحاد ، وذكرت له ما قاله فيها العلامة السعد التفتازاني ، والشيخ علي القاري ، والشيخ محمد البخاري ، وغيرهم فقال (اي الصوفي) إن هؤلاء لم ينصفوا فان صاحب الفصوص قد صرح بعقيدة الاسلام في كثير من كتبه فمن الواجب أن نصرف ما نسمع من كلامه المخالف للحق الى مايوافقه ، ونحمله على محمل حسن ، كما أولوا قوله : سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها . أي عين وجودها الماسك لها ونحو ذلك صيانة لهؤلاء الكمل من الوقيعة فيهم فقلت : فما قولك في مسلم يصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت ، وقد تكلم بالكفر هل تؤل كلامه وتصرف عنه موجب

الكفر أو تقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة ؟ ثم انكم لم تذبوا عن ابن تيمية وتعتذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم ، وقد ملأ الكتب من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان من الواجب عليكم أنه اذا ثبت عنه شيء مذكور في كتبه أن تجتهدوا في حمله على محمل حسن اه باختصار قليل

(اقول) لعمري ان الحق في جانب هذا الفاضل فان الفتوحات المكية والفصوص فيهما كثير من المسائل مما ظاهره يصادم نصوص الكتاب والسنة ، الامر الذي اضطر اخلص انصار الشيخ الأكبر أن يقولوا ان ظاهرها غير مراد ، وانها اما ان تؤول بما يوافق النصوص ، أو يفوض فهم معناها والمراد منها الى الله تعالى .

وقد وقعت كتب الشيخ ابن عربي في ايدي العوام والجهال ممن ليسوا أهلا لمطالعتها وفهمها ؟ فهم يفسرونها على حسب اهوائهم وجهلهم واغراضهم ومنهم من اعتقد الحلول والاتحاد ، واستباح حمى الاعراض ، وصارت له عبارات تقشعر منها الابدان ، وكلما كانت الى الكفر أقرب ، وعن الشرع أبعد يسميها فتوحا ، ولم نر أحدا سعى بمصادرة هذه الكتب من ايدي العوام ، غيرة على الدين ثم على الشيخ الاكبر الذي الفها للخواص ، والذي شهد له واثنى عليه باجتهاده في طاعة ربه والتزام احكامه أصدقاؤه وأعداؤه .

وشيخ الاسلام ابن تيمية الذي وقف بكتبه عند حدود الشرع

أعظم وقوف ، وتمسك بالظاهر المتبادر منها اشد التمسك ، ولم يفارق ما تدل عليه النصوص قيد شبر ، ولا قلامة ظفر ، يفكر بعض أهل العلم بمصادرة المجموعة التي طبعت حديثا منها ، ومنع الناس من قراءتها ، فوا أسفاه اين الانصاف ؟ !

فان قال قائل في رسالة (كشف الشبهات) لابن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) رمي بالشرك او الكفر (فالجواب) أن ذلك عينه مذكور في كثير من الكتب الحديثية وفي كتب الفقهاء والمقصود منه الزجر عن البدع التي اتفقنا على انها بدع ، والتغليظ والتشديد على مرتكبيها ليرجعوا عنها ، وانما يكفر الجاحد المعاند الذي يعرض عن الحق من بعد ما تبين له أنه حق كما تقدم .

وكما لا يسعنا تكفير المسلم المخطئ في شيء لم يظهر له أو لم يبلغه ، فكذا لا يجوز السكوت عن نصحه وارشاده ، ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكنت كتبت مقالا في هذا الموضوع (موضوع بيان الحق ، ودعوة الناس اليه برفق ولين وتعرضت فيه للمجموعة الجليلة التي طبعها ابن رميح) ، ونشر في جريدة (الف با) الغراء عدد (٥٥٢) تحت عنوان (الانصاف يزيل الخلاف) بتوقيع (ابو اليسار) وكان له وقع حسن في نفوس أهل الصدق والانصاف والاخلاص من الناس ، فيحسن بنا ايراده هنا واليك هو :

(الانصاف يزيل الخلاف)

كثر الجدال واشتد الخصام بين الناس خاصتهم وعامتهم في امر رسائل بعض الاجلاء الأعلام التي طبعها التاجر ابن رميح على نفقته ووزعها على المسلمين في عامة الأقطار، وجعلها وقفاً يبتغي به وجه الله ورضاه .

فمن مغال متطرف يمنع الناس من قراءتها ، ويشير عليهم باحراقها، ويخوض في عرض أهلها ، ويوسعهم سباً وشتما

ومن ملح عليهم بتفهمها والاستنارة بنور أدلتها التي تكشف ظلمات الشبه والشكوك ، وتمزق حجب البدع والاوهام ، وتنقي العقائد من كل شائبة .

ومن نظر في حال أنصار الرسائل وخصومهم نظرا مجرداً عن الهوى يرى عند غلاة الفريقين تحاملا ظاهراً وتعصباً ذميما ،

فمن تعصب غلاة الفريق الاول انهم ينسبون الشرك والكفر الى من يدعو غير الله ، أو يحلف بغيره ،ويحملون عمل ذلك العامي البسيط على العداء والعناد ، وان أخطا باللفظ دون الاعتقاد ، مع أن الفرق بين هؤلاء العامة المساكين ،وبين المشركين الذين كانوا في عهد التنزيل مثل الصبح ظاهر

أهل الجاهلية كانوا يسمون كتاب رب العالمين إفكا ،وأساطير الاولين ، وقالوا عن النبي الكريم : شاعر ، ومسحور ، ومعلم مجنون وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون !!

وهؤلاء المسلمون يقولون القرآن كلام الله وهو وحي معجز ، أولئك كانوا يقابلون المعجزة والبرهان ، بالسيف والسنان ، وهؤلاء يقابلون ذلك بالايمان والاذعان ، إصرار أولئك على الباطل كان ناشئاً عن عنادهم ، وقساوة قلوبهم وغلظ اكبادهم ، وهؤلاء إذا رأوا الحق اتبعوه ، وإذا رأوا الباطل اجتنبوه ، فاذا ذكرتهم تذكروا ورجعوا الى الحق وشكروا ، فكيف يقال انهم كفروا أو صاروا مشركين ؟ فيا لله للعجب ، هل الجمع بين الفريقين ولا جامع بينهم — إلا جمع بين الايمان والكفر ، والهدى والضلال ، وهل هو إلا جهل أو خطأ ظاهر ، لا يُصرّ عليه الا كل مكابر ؟ !

(تعصب الفريق الثاني)

أما غلاة الفريق الثاني فهم أيضاً جهال بحال الفريق الاول ، فنهم من يقول انهم ينكرون الانبياء والاولياء ، وسمع من بعض العامة لفظ أخشن وأشدّ تشويها ، وهو أن الوهابيين (فرمسون) ومعناه في لغة العامة أنهم طبيعيون — اي لا يدينون بدين ! وقال : هو اسهل علينا من لفظ (وهابي) الذي لا نحفظه . ويظنون أن جميع النجديين خواصهم وعوامهم يكفرون عامة المسلمين ! ! والحق أن هذا افتراء عليهم يعلم ذلك من راجع كتبهم . وأما التكفير فهو من بعض غلاتهم وجهالهم ، ويقابل ذلك ما نسمعه من بعض رعاعنا وشذاذنا عنهم . وهل يؤخذ الكل بجريرة البعض ؟

على أن هذه المسائل — وهي دعاء غير الله ، والحلف به ، والنذر باسمه ايا كان — امور كلها محظورة شرعاً ، ونحن متفقون معهم على انكارها ولكن بعض مدرسينا يتحامون ذكرها في الدروس ، خيفة من أن يرميهم احد بمثل ما يرمون به خصومهم ، وانك لتجدهم يدافعون عن عادات الناس وبدعهم ويقرونهم عليها ويؤولون كل قبيح منها ، مع علمهم بما ورد من شديد النهي عنها ، حتى كأن الدين ما عليه عامة الناس ، لا ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله شهيد على ما يعملون .

تشخيص الداء وطريق علاجه

لايخفى ان جمع كلمة الامة من اهم المهمات ، كما ان بيان الحق والدعوة اليه من اوجب الواجبات ، ولكن القول اللين أوقع في النفوس واشد جذبا وتأثيراً ، «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولايخفى أن الانتقاد على العوائد ثقيل مر كالانتقاد على العقائد لا سيما إذا تمكنت من النفوس وطال عليها الزمن . وقد وصف الامام الشوكاني الشهير في رسالته (الدر النضيد) هذه البلوى العامة وصفا بالغا ، واليك كلمة وجيزة مما قاله :

واعلم ان ما حررناه وقررناه —(أي في شأن هذه البدع القبورية)— قد يخفى على كثير من أهل العلم ، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه ، بل لاطباق الجمهور على هذا الامر —(اي أمر الطلب والدعاء ، والذبائح

والنذور لاهل القبور) — وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير ، وهو يرى ذلك ويسمعه ، ولا يرى ولا يسمع من ينكره ، بل ربما يسمع من يرغب فيه ويندب الناس اليه ، (الى ان قال) ويوقدون في المشهد الشموع ، ويوقدون فيه الاطياب ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة ، يجتمع فيها الجمع الجم ، فيبهر الزائر ، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم ، وتكالبهم على القرب من الميت ، والتمسح باحجار قبره واعواده ، والاستغاثة به والالتجاء اليه ، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات ، مع خضوعهم واستكانتهم . وتقريبهم اليه نفائس الاموال ونحرهم اصناف النحائر . فبمجموع هذه الامور مع تطاول الازمنة وانقراض القرن بعد القرن يظن الانسان في مبادئ عمره ، واوائل ايامه أن ذلك من أعظم القربات ، وأفضل الطاعات ، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية (الى ان قال) لانه يبعد كل البعد ان ينقل ذهنه دفعة واحدة عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات ، الى كونه من اقبح القبحات ، واكبر المحرمات » : اه (وأقول) لو أن الوعاظ والخطباء والمدرسين قد دعوا الى سبيل ربهم بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأصلحوا أحوال العامة وألفاظهم بدلا من التأويل لزال الخلاف ، وحصل السلام بين بني الاسلام ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، يا ارحم الراحمين

[نصيحة الى الواعظين]

نختم هذه الرسالة بنصيحة نسوقها الى الواعظين ، عسى أن يكون فيها عبرة وذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد :

معلوم أن المقصود من الدروس العمومية تذكير الناس وإرشادهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ودعوتهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة . وللمذكر أو الواعظ شروط وأوصاف اذا توفرت فيه جرى على يديه خير عظيم ، ونفع عميم ، واذا لم يكن كذلك ذهب الوقت سدى ، وكان عمله عديم الجدوى . واليك ما قاله بعض العلماء الاجلاء في موضوع تذكير العامة وأوصاف المذكر :

موضوع ذكرى العامة موضوع جليل ، لا يصلح له الا كل حكيم نبيل ، أتدري من المذكر ، أو الواعظ ، أو المرشد ؟ هو انسان حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول وتهذيب النفوس ، وتثقيف الاذهان وتنوير المدارك ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإماطة ما غشي الافهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة

المذكر وارث محمدي ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الاحكام . لا يصعد بهم قمم الشدة والتعسير ، ولا يهبط بهم الى

حضيض الجهل غلوا في التيسير ، بل يسير بهم على جادة الحق وسواء الطريق

المذكر ينشر العلم النافع بين الناس ، ويحثهم على العمل به ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويتنزل لارشادهم الى لغتهم ، يعاشرهم بالنصح ، ويخالطهم لتأليف قلوبهم .

المذكر هو العامل الاكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، وهو كالسراج فاذا لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده . وحق ما قيل : « لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه » اذ ليس مسؤلا عن نفسه وحدها ، بل عنها وعن عشيرته ، وامته . فمن الواجب عليه أن يعلم ويعظ ، ويبلغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الجملة فالمذكر لا بد أن يكون كاملا في علمه ، كاملا في تعليمه ، كاملا في ارشاده ، كاملا في اخلاقه إه

(اقول) اذا لاحظ الانسان هذه الاوصاف المذكورة والقى نظرة عامة على الدروس العمومية في اكبر مسجد دمشقي — المسجد الاموي — رأى انها لم تتوفر كلها في درس واحد ، وعرف ان بعض مدرسيه لا يغني عن البعض الاخر ، وادرك ان الارشاد الكامل ، والنصح الشامل ، لا يتم الا بهم جميعا ، ذلك بان بعضهم قد الف النهي عن بعض المنكرات والسكوت عن البعض الاخر لسبب ما ،

والاسباب متنوعة ، والبعض الاخر قد تكفل ببيان تلك المنكرات والنهي عنها ، فهم كزهرات متفرقة تعطي الواحدة منها منظرا خاصا ورائحة شذية ، ولكنها اذا جمعت جميعا ، وصارت باقة زهر — كما يقولون — الفت منظرا اجمل ، ورائحة اشهى واقوى

ليس عجبي من سكوت الساكت عن بعض المنكرات باشد من عجبي من اعتراضه على من ينكرها ، ومقاومته له ، وانكاره عليه .مع الطعن في دينه احياناً في الدرس العام ، وربما قابل الاخر الطعن بمثله ، والانكار باشد منه ، حتى صارت تلك الدروس مثار خلاف ، ومعترك خصام ، وحتى تنبه بعض العامة لذلك وقال : ان المدرسين قد خرجوا عن الموضوع ، وشغلوا عن الارشاد بالانتقاد ، فنحن لا نستفيد من دروس شأنها ماذكر شيئا ، ومتى زال الخلاف . وعادت الالفة بين العلماء عدنا فسمعنا واستفدنا

ولا يخفى ان الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفائي على قول ، وفرض عيني على قول آخر ، فاذا كان بعض ما قدمناه منكرا باتفاق مثلا وانكره البعض الا يسقط الاثم عن الباقين — على القول الاول ، واذا لم ينكره احد منهم الا يكونون كلهم آثمين ؟ بلى إذا فلماذا يعترض بعض المدرسين على بعض ويطعنون في دينهم ، بدلا من أن يشكروا لهم القيام بواجب كان ينبغي لهم أن

يشاطروهم فيه ؟ أليس من علامات الايمان ، وآيات الاخلاص أن يبتهجوا بانكار هذه المنكرات ؟

قال قائل : ان بعض الواعظين في الجامع قد تكلم بكلام هو المنكر لا ما انكره (فالجواب) أن ذلك يحتمل أن يكون غير صحيح إما من كذب الناقل أو جهله أو تحريفه كما اتفق ذلك مرارا

وعلى فرض أن المدرس قد أخطأ في مسألة ما فليس هو معصوماً ولا غيره ، وقد قال الامام مالك بن انس (رضي الله عنه) : ما منا إلا من رد ورُد عليه إلا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم

وعلى كل فليس الدرس العام محلا لانتقاد المخطي وجوابه ، لان ذلك يحمله على أن يقرأ درساً في الرد على من انتقده كما هو واقع ، فيزيد الاشكال بدلا من أن يزول ، ويتسع الخرق على الراقع .

والله عز شأنه يقول : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا »

فما على من ينتقد الآخر بشيء الا ان يجتمع به ، وينقل له عبارته ، ويبين له خطأه بالدليل ، ويذكر له الصواب بالدليل ، واذا وجد بينهما حكم أو اكثر من ذوي العلم والانصاف ، حلَّ الوفاق محلَّ الخلاف ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تمت هذه (النظرة) على يد مؤلفها ابي اليسار الدمشقي الميداني

خامس عشر ذي القعدة الحرام سنة الف

وثلاثمائة واربعين والحمد لله رب العالمين

DATE DUE